

الفصل الرابع

نماذج من الحقائق العلمية الفلكية المعاصرة

في

ضوء القرآن الكريم

المبحث الأول: الإعجاز الفلكى فى القرآن الكريم

المطلب الأول: الآيات التى ورد بها عالم الفلك

المطلب الثانى: تفسير آيات الفلك

الفرع الأول: تفسير الآيات التى وردت فى سورة الأنبياء

الفرع الثانى: تفسير آيات سورة يس

المبحث الثانى: وينقسم إلى

المطلب الأول: وجعلنا سراجا وهابا

المطلب الثانى: والسماء ذات الرجع

المبحث الثالث: حركات الأرض وتولد الليل والنهار والفصول الأربعة

المبحث الرابع: الضوء والنور والظلام ونيرات السماء (النجوم - الكواكب)

المبحث الخامس: النجوم

المبحث السادس: السماء وزينة الكواكب

المبحث السابع: وجعل لكم سراييل تقيكم الحر

المطلب الأول: أقوال بعض المفسرين للآية الكريمة

المطلب الثانى: الملابس نعمة وفقداء عقوبة.

المطلب الثالث: علماء المسلمين يتنبئون بحدوث السرطان.

المبحث الأول

الإعجاز الفلكي في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الآيات التي ورد بها عالم الفلك

المطلب الثاني: تفسير آيات الفلك

الفرع الأول: تفسير الآيات التي وردت في سورة الأنبياء

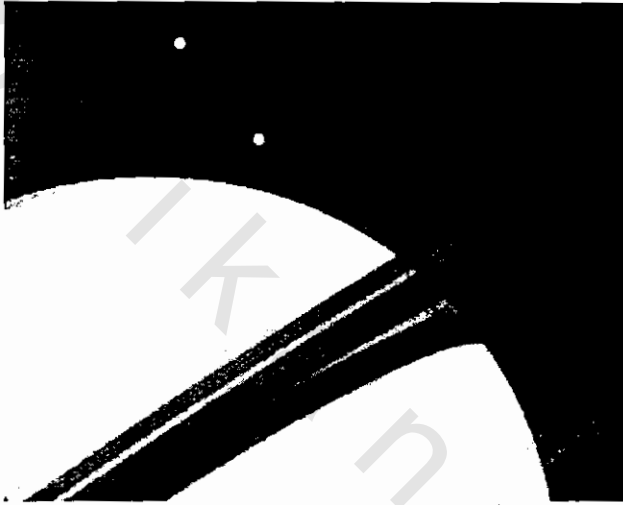
الفرع الثاني: تفسير آيات سورة يس

obeikandi.com

المبحث الأول

الإعجاز الفلكي في القرآن الكريم .

يعد القرآن الكريم (كتاب الحضارة الأمتل) ، كتاب هداية وليس



كتاباً للفلك أو للطب،
وما إلى هناك من
العلوم، ومع ذلك فقد
وردت آيات عن الفلك
فى ثنايا السياق
الشريف، وهذه الآيات
الباهرات تؤكد، ولا
ريب مدى تفرد
الإعجاز الفلكي لهذا

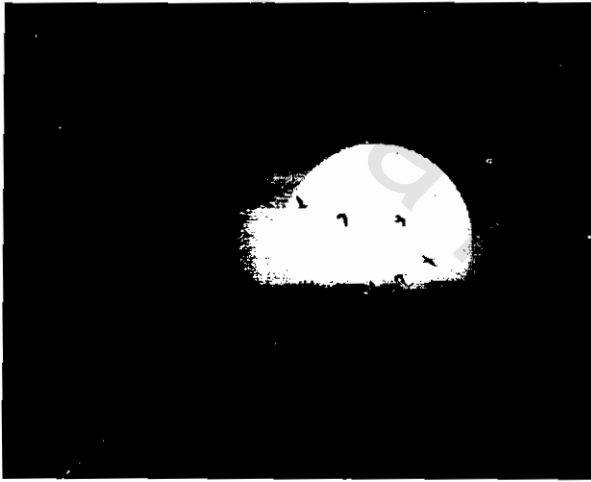
الكتاب الخالد، وفى هذا ما لعله يشير إلى أن القرآن الكريم قد تناول
بالإجمال الإطار العام للفلك، وفقاً للتصور الإسلامى لهذا العلم . وفى
السطور التالية سوف أقوم بتقديم المنظور التفسيرى لهذه الآيات التى جاء
ضمن مفرداتها اللغوية إعارة صريحة إلى الفلك، أما الآيات الأخرى التى
حوت إشارة أو مؤشرات عن قضايا الفلك فسوف أعرضها بدون تفسير .

وفى هذا السياق التفسيرى يبدو أنه من الضرورة بمكان أن نشير إلى
أن بعض مؤرخى العلم يرون أنه لما أشرق فجر الإسلام على الكون، حدث
تحول جذرى فى المسار التطورى والارتقائى لعلم الفلك سواء كان ذلك من
الناحية العلمية (النظرية) ، أو العملية (التطبيقية) .

وذلك لأن الحضارة الإسلامية التى تعد بمثابة الإفرار الطبيعى لهذا
الدين الخالد، قد اهتمت منذ اللحظات التاريخية الأولى لانبثاقها من رحم

التاريخ، بسائر العلوم بوجه عام، وعلم الفلك بوجه خاص، فراينا المسلمين يتحدثون عن الكون المخلوق (القرآن التكويني) وعن الكون المكتوب (القرآن التدويني)، وما من كتاب مقدس فى مختلف الأديان تكرر فيه ذكر آيات الله المتجلية فى النظام الطبيعى مثل ما تكررت فى القرآن الشريف ما عدا استثناء ممكن فيما يخص كتاب (الفيدا) وهو أيضاً انعكاس مباشر للوحي الفطرى^(١).

ومن هنا يمكن القول بأنه كان هناك عاملان حيويان، حركتا علم الفلك



بدفعة قوية منذ بداية الحضارة الإسلامية هما: أن الآيات القرآنية التى تشير إلى الطبيعة تتعلق فى معظمها بالسماء، ويعد هذا بمثابة تأكيد من قبل أقدس المصادر الإسلامية على مدى أهمية علم الفلك فى حياة الإنسان المسلم

يضاف إلى ذلك ميل العرب الرحل الطبيعى إلى النظر فى السماء أثناء تجوالهم فى مغاور الصحراء بمساعدة النجوم . وبالتالي أصبح لهذا العلم وما يلحق به من العلوم العقلية، مكانة رفيعة فى الفضاء الثقافى الإسلامى، حتى أن الفقهاء وعلماء الدين المعارضين لبعض هذه العلوم استثنوا علم الفلك بل إن الأمر بلغ ببعضهم إلى أن أحلوه مكاناً رفيعاً^(٢) .

(١) العلوم فى الإسلام. د/ سيد حسنين نصر - ترجمة : مختار الجوهري، دار الجنوب للنشر، تونس ١٣٩٨هـ -

١٩٧٨م، صفحة ٨٥.

(٢) العلوم فى الإسلام، ص ٨٦ .

ولقد وردت كلمة فلك في موضعين من السياق الشريف، الموضع الأول في سورة الأنبياء، حيث يقول الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(١)، والموضع الثاني في سورة يس حيث يقول عز من قائل: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾^(٢) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾^(٣) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٤).

وفيما يلي تفسير هذه الآيات الكريمة، وسوف اعتمد في تفسيرى لها على نموذجين لتفسير القرآن الكريم . أحدهما تراثى هو (تفسير الأمام القرطبي)، والآخر معاصر هو (ظلال القرآن) لسيد قطب وسيوضح لنا أن هناك فارق جوهري فيما بين الرؤيتين التراثية والمعاصرة، فى نظرها للإعجاز العلمى للقرآن الكريم، وفقاً للمعطيات العلمية لحصرها وذلك فى المطلب الثانى.

(١) سورة الأنبياء، آية رقم (٢٣) .

(٢) سورة يس، آية رقم (٢٧ - ٤١) .

المطلب الأول

الآيات التى ورد بها عالم الفلك

الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ^(١)﴾

الموضع الثانى : قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِثَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ ^(٢)﴾.

الموضع الثالث : قال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۝ ^(٣)﴾.

الموضع الرابع : قال ﷺ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ ^(٤)﴾ .

الموضع الخامس : قال جل شأنه : ﴿ إِنَّا رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۚ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ^(٥)﴾ .

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ أَلَدِينُ الْقِيمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ۝ ^(٦)﴾

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٩) .

(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٩٠) .

(٣) سورة البقرة، آية رقم (١٨٩) .

(٤) سورة الأنعام، آية رقم (٩٧) .

(٥) سورة الأعراف، آية رقم (٥٤) .

(٦) سورة التوبة، آية رقم (٢٦) .

الموضع السابع : قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿ (١).

الموضع الثامن : قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (٢).

الموضع التاسع : قال جل شأنه : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ (٣) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿ وَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴾ (٤).

الموضع العاشر : قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٥).

الموضع الحادي عشر : قال ﷺ : ﴿ وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَتَذَوْنُ ﴾ (٦).

الموضع الثاني عشر : قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ (٧).

الموضع الثالث عشر : قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْكَوَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ

(١) سورة يونس، آية رقم (٥ ، ٦) .

(٢) سورة يوسف، آية رقم (٤) .

(٣) سورة الحجر، آية (١٤ - ١٦) .

(٤) سورة النحل، آية رقم (١٢) .

(٥) سورة النحل، آية رقم (١٦) .

(٦) سورة الإسراء، آية رقم (١٢) .

زَيْتُهَا يُضَيُّهُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(١).

الموضع الرابع عشر : قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۖ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝^(٢) .

الموضع الخامس عشر : قال الله تعالى: ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝^(٣) .

الموضع السادس عشر : قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝^(٤) .

الموضع السابع عشر : قال جل شأنه : ﴿ فَتَنْظَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝^(٥) .

الموضع الثامن عشر : قال الله تعالى: ﴿ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظٍ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝^(٦) .

الموضع التاسع عشر : قال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝^(٧) .

(١) سورة النور، آية رقم (٢٥) .

(٢) سورة الفرقان، آية رقم (٦١ ، ٦٢) .

(٣) سورة فاطر، آية رقم (١٢) .

(٤) سورة الصافات، آية رقم (٦) .

(٥) الصافات، آية رقم (٨٨) .

(٦) سورة فصلت، آية رقم (١٢) .

(٧) سورة ق، آية رقم (٦) .

الموضع العشرون : قال الله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ 》^(١).

الموضع الحادى والعشرون: قال جل شأنه: ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَالنَّجْمُ ۚ 》^(٢)

الموضع الثانى والعشرون : قال ﷻ : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۚ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۚ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۚ 》^(٣).

الموضع الثالث والعشرون : قال الله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۚ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۚ 》^(٤).

الموضع الرابع والعشرون: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۚ 》^(٥).

الموضع الخامس والعشرين: قال ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۚ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۚ 》^(٦).

الموضع السادس والعشرون : قال جل شأنه : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۚ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ نَحْدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۚ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۚ 》^(٧).

الموضع السابع والعشرون: قال ﷻ : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۚ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۚ 》^(٨).

(١) سورة النجم، آية رقم (١ ، ٢) .

(٢) سورة القمر، آية رقم (١) .

(٣) سورة الرحمن، آية رقم (٥ - ١٠) .

(٤) سورة الواقعة، آية رقم (٧٥ ، ٧٦) .

(٥) سورة الملك، آية رقم (٥) .

(٦) سورة نوح، آية رقم (١٥ ، ١٦) .

(٧) سورة الجن، آية رقم (٨ - ١٠) .

(٨) سورة المرسلات، آية رقم (٨ ، ٩) .

الموضع الثامن والعشرون : قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۚ وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمُ سَبْعًا شِدَادًا ۚ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ (١).

الموضع التاسع والعشرون: قال ﷺ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ (٢).

الموضع الثلاثون : قال جل شأنه: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۖ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَحَرَتْ ﴾ (٣).

الموضع الحادى والثلاثون : قال ﷺ : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ (٤).

الموضع الثانى والثلاثون: قال الله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۖ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ (٥).

الموضع الثالث والثلاثون : قال جل شأنه : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۚ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۚ إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْنَا حَافِظٌ ﴾ (٦).

الموضع الرابع والثلاثون : قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۖ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۖ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ (٧).

تلك كانت أبرز الآيات القرآنية المعجزة، التى تحدثت عن علم الفلك

(١) سورة النبأ، آية رقم (١٠ - ١٢) .

(٢) سورة التكويد، آية رقم (٢ ، ١) .

(٣) سورة الانفطار، آية رقم (٢ ، ١) .

(٤) سورة الانشقاق، آية رقم (١ - ٥) .

(٥) سورة البروج، آية رقم (٢ ، ١) .

(٦) سورة الطارق، آية رقم (١ - ٤) .

(٧) سورة الشمس، آية رقم (١ - ٦) .

وقضاياه في القرآن الكريم، وما أكثر الآيات الأخرى، التي لم أذكرها هاهنا . إن هذه الآيات وغيرها إذن تقوم دليلاً كافياً على فساد أى رأى يذهب إلى أن الإسلام وكتابه الخالد نهى عن الفلك والاستغال به، فالدعوة صريحة في القرآن الكريم تتمثل في أنه قد حث الإنسان المسلم على أن يمعن النظر، والتأمل في كل شئ من صنع الله^(١).

ولقد انعكس هذا الاهتمام الفائق، من قبل القرآن الكريم بعلم الفلك. حيث ذكرت النجوم تسع مرات في القرآن الكريم، والكواكب مفردة في آية واحدة، وجمعت في أربع آيات، على تعاليم الإسلام، فكان لها بصمات بارزة على العلوم المتباينة بعامة، وعلم الفلك بخاصة، فكان علم الفلك في الإطار الإسلامى يطلق عليه نفس التسميات السابقة واعتنى المسلمون بعلم الميقات لتحديد أوقات الصلاة، نظراً للبعد الكونى لهذه العبادة الإسلامية المتميزة، كما عنوا بتحديد القبلة (سمت القبلة) التي كانت جزءاً عضوياً حياً من اهتمامات علم الفلك كما فهمه المسلمون^(٢).

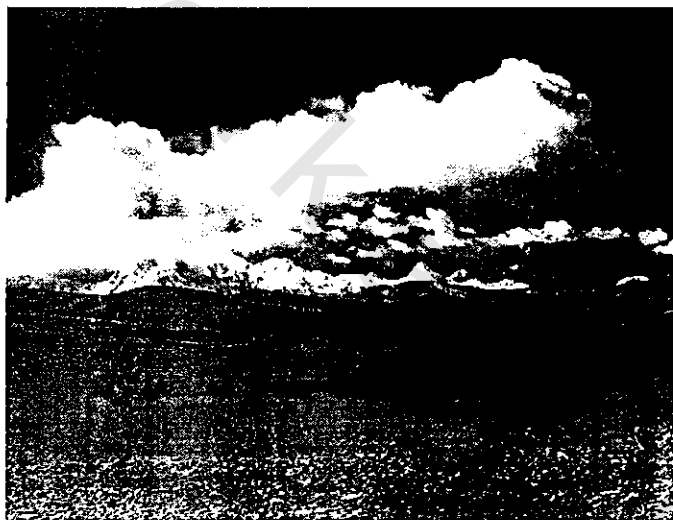
(١) التراث والحضارة الإسلامية، د/ ماهر عبد القادر محمد، صفحة ٧٦ .

(٢) العلوم في الاسلام، د/ سيد حسين نصر، صفحة ٨٧

المطلب الثاني

تفسير آيات الفلك

الفرع الأول : تفسير الآيات التي وردت في سورة الأنبياء :
قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١)



١- يقول الإمام
القرطبي في
تفسيره لهذه الآية
(إن ذكر الليل
والنهار في الآية
نعمة كبرى، فالله
جعل الليل
للشجر ليسكنوا
فيه، والنهار
لينصرفوا فيه لمعاشهم .

﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ أي وجعل الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، وذلك
بغرض تعلم الشهور والسنين والحساب .

﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ أي أن الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل
والنهار يجرون ويسيرون بسرعة كالسباح في الماء. وقيل :
الجرى للفلك فنسب إليها، والأصح أن السيارة تحرى في الفلك،
وهي سبعة أفلاك دون السماوات المطبقة التي هي مجال الملائكة

وأَسباب الملكوت، فالقمر فى الفلك الأدنى، ثم عطارد، ثم الزهرة، ثم الشمس، ثم المريخ، ثم المشترى، ثم زحل، والثامن فلك البروج، والتاسع الفلك الأعظم، والفلك واحد أفلاك النجوم، وفى حديث ابن مسعود (تركت فرسى كأنه يدور فى فلك)، كأنه لدورانه شبهه بفلك السماء الذى تدور عليه النجوم. قال ابن يزيد: الأفلاك مجارى النجوم والشمس والقمر وهى بين السماء والأرض^(١) .

ويلاحظ على هذه الرؤية التفسيرية ذات الطابع التراثى، أنها تشير بأن مفسرى القرآن القدماء، ومنهم القرطبي بطبيعة الحال، كان لديهم معرفة بالتفسير العلمى للقرآن الكريم وفقاً لمعطيات عصرهم فى هذا المنحى وهذا دلال أكيدة على أن التفسير العلمى للقرآن كان موجوداً فى تراثنا الحضارى .

وفى هذا الصدد يقول أحد الباحثين المعاصرين (من الخطأ الظن أن التفسير العلمى حديث عهد، أو أنه نشأ فى أعقاب النهضة العلمىة الحديثة)، فقد نقل بعض قدامى المفسرين عن العلماء أن القرآن الكريم يحوى سبعة وسبعين ألفاً ومائتى علم، إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، وقد روى عن ابن مسعود قوله: (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن)^(٢)

٢- يقول سيد قطب وهو بصدد تفسير هذه الآية (إن الليل والنهار ظاهرتان كونيتان، والشمس والقمر جرمان هائلان لهما علاقة وثيقة بحياة الإنسان فى الأرض، وبالحياة كلها، والتأمل فى توالى الليل

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٨٦/١١ تحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

(٢) هاووم اقرأ وكتابية (محاولة لتجديد الفكر الإسلامى)، د. أحمد محمود صبحى، دار النهضة العربية المصرية للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، صفحة ٣١ .

والنهار، وفي حركة الشمس والقمر بهذه الدقة التي لا تختل مرة، وبهذا الاطراد الذي لا يكف لحظة . جدير بأن يهدى القلب إلى وحدة الناموس، ووحدة الإرادة ووحدة الخالق المدبر القدير^(١) .

الفرع الثاني : تفسير آيات سورة يس :

قال الله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾^(٢)

١- يقول الإمام القرطبي (إلى أن ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب الألوهية، والسلخ يعنى الكشط والنزع . يقال سلخه الله من دينه ثم تستعمل بعض الإخراج وقد جعل ذهاب الضوء ومجئ الظلمة كالسلخ من الشئ وظهور المسلوخ فهي استعارة و(مظلمون) تعنى داخلون فى الظلام يقال أظلمنا أى دخلنا فى ظلام الليل . وأظهرنا أى دخلنا فى وقت الظهر وكذلك أصبحنا وأضحينا وأمسينا)^(٣) .

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾^(٤) قال القرطبي فى تفسيرها : (والمعنى أن الشمس تجرى إلى أبعد منازلها فى الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها . فمستقرها بلوغها الموضع الذى لا تتجاوز بل ترجع منه، كالإنسان يقطع مسافة حتى يبلغ أقصى مقصودة فيقضى وطره، ثم يرجع إلى منزله الأول الذى ابتدأ منه سفره، وعلى تبليغ الشمس أقصى منازلها، وهو مستقرها إذا طلعت الهنعة . وذلك اليوم أطول الأيام فى السنة، وتلك الليلة أقصر الليالى، فالنهار خمسة عشر

(١) فى ظلال القرآن سيد قطب، الجزء الثالث عشر، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م، صفحة ٥٣٢ .

(٢) سورة يس ، الآية رقم (٣٧)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - تحقيق محمد محمد حسين - دار الكتاب المصرية، القاهرة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، الجزء الخامس عشر، صفحة ٢٦ .

(٤) سورة يس ، الآية رقم (٣٨)

ساعة والليل تسع ساعات، ثم يأخذ في النقصان وترجع الشمس، فإذا طلعت الثريا استوى الليل والنهار، فيصير كل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة، ثم تبلغ أدنى منازلها وتطلع النعائم، وذلك اليوم أقصر الأيام، والليل خمسة عشرة ساعة حتى إذا طلع فرخ الدلو المؤخر استوى الليل والنهار، "فياخذ الليل من النهار كل يوم عشر ثلث ساعة، وكل عشرة أيام ثلث ساعة، وكل شهر ساعة حتى يستويا . ويأخذ الليل حتى يبلغ خمس عشرة ساعة ويأخذ النهار من الليل كذلك

وقال الحسن إن للشمس في السنة ثلاثمائة وستين مطلعاً، تنزل في كل يوم مطلعاً ثم لا تنزل إلى الحلول، فهي تجرى في تلك المنازل وهي مستقرها^(١) .

﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ جاء في تفسيرها . أن الذي ذكر من أمر الليل هو من تقدير الله العزيز العليم ويرى القرطبي أن في هذه الآية ثلاث مسائل هي :

المسألة الأولى : أن المنازل هي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة منها بمنزل، وهي (السرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهنمة، الهنمة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الخراتان، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانيات، الإكليل، القلب، النشولة، النعائم، البلده، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، الفرغ المقدم، الرفع المؤخر، بطن الحوت) . فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها، فيقطع الفلك في

(١) تفسير القرطبي، ٢٧/١٥، ٨ .

ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر، ثم يطلع هلالاً فيعود فى قطع
الفلك على المنازل، وهى منقسمة على البروج لكل برج
منزلان وثلاث، فلحمل السرطان والبطين وثلاث الثريا، وللثور
ثلاثا السريا والدبران وثلاثا الهنمة، ثم كذلك إلى سائرهما (١) .

المسألة الثانية : أن العرجون هو أصل العنق الذى يموج منه الشماريخ
فيبقى على النخل يابساً، وعرجنه ضربه بالعرجون، فالنون
على قول هؤلاء أصلية ومنه شعر أعشى بن قيس

شرق المسك والعبير بها فهى صفراء كعرجون القمر

فالعرجون إذا عتق ويبس وتقوس شبه به القمر فى دقته وصفرت به .
واعلم أن السنة منقسمة على أربعة فصول كل فصل سبعة منازل .

فأولها الربيع وأوله آذار وعدد أيامه اثنان وتسعون يوماً تقطع الشمس
فيه ثلاثة بروج . وسبعة منازل ثم يدخل فصل الصيف فى حزيران وعدد
أيامه اثنان وتسعون يوماً تقطع الشمس فيه ثلاثة بروج، وسبعة منازل
أيضاً، ثم يدخل فصل الخريف فى أيلول وعدد أيامه واحد وتسعون يوماً
تقطع الشمس فيه ثلاثة بروج وسبعة منازل، ثم يدخل فصل الشتاء فى
كانون الأول وعدد أيامها تسعون يوماً وربما كان واحداً وتسعين يوماً تقطع
الشمس فيه ثلاثة بروج وسبعة منازل وهذه قسمه السريانيين لشهور السنة
تشرين الأول، تشرين الثانى، كانون الأول، كانون الثانى، أشباط (شباط)،
آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول وكلها واحد وثلاثون يوماً،
إلا تشرين الثانى ونيسان وحزيران وأيلول فهى ثلاثون يوماً وأشباط
ثمانية وعشرون يوماً وربيع (٢) .

(١) تفسير القرطبي ٢٩/١٥ ، ٣٠ .

(٢) تفسير القرطبي ٣١/١٥ .

وهذا التفسير يشير لنا بأن علماء المسلمين كان لديهم حس علمي، بملاحح كل العلوم، فجاء نتائجهم الفكرى مترع بالطابع الموسوعى، مما يضى على الحضارة الإسلامية اليناعة، روحاً علمية، نحن فى أمس الحاجة إليها، فى هذه الأيام لكى تحقق الأمة الإسلامية نقلة نوعية فى عالم الإبداع الحضارى .

المسألة الثالثة: أن قوله **وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ** : (القديم) يعنى التحول، وإذ قدم دق وانحنى وأصفر فشبّه القمر به فى ثلاثة أوجه (١) .

﴿ لَا أَلَشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ جاء فى تفسيرها، أن معناها أن الشمس لا تدرك القمر فتبتطل معناه، أى أن لكل واحد منهما سلطان على حياته، فلا يدخل أحدهما على الآخر، فيذهب سلطانه إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك، فتطلع الشمس من مغربها، وقيل : إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء، وأحسن ما قيل فى معناها، أن سير القمر سير سريع والشمس لا تدركه فى السير .

﴿ وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ أى أن النهار مخلوق قبل الليل، وأن الليل لم يسبقه بخلق، وقيل : إن كل واحدة منهما يجئ وقته ولا يسبق صاحبه إلا أن يجمع بين الشمس والقمر يوم القيامة، وهذا التعاقب لتتم مصالح العباد، ويكون الليل للاستجمام والاستراحة، والنهار للتصرف . قوله تعالى ﴿ وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ أى غالب النهار (٢) .

﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ يعنى أن كلا من الشمس والقمر والنجوم فهم يجرون وقيل : يدورون ولم يقل تسبح لأنه وضعها بفعل من يعقل،

(١) تفسير القرطبي ١٥ / ٣٢ .

(٢) تفسير القرطبي، ١٥ / ٣٢، ٣٣ .

وقيل : إن الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض غير ملصقة ولو كانت ملصقة ما جرت^(١).

قال تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَلَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ .

٣- يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية (إن مشهد قدوم الليل والنور يختفى والظلمة تغطي الكون مشهد مكرر يراه الناس في كل بقعة، في خلال أربع وعشرين ساعة فيما عدا بعض المواقع التي يدوم فيها النهار كما يدوم فيها الليل أسابيع وأشهر قرب القطبين في الشمال والجنوب من الكرة الأرضية وهو مع تكراره اليومي عجيبة تدعو إلى التأمل والتفكير والتعبير القرآني عن هذه الظاهرة، في هذا الموضع تعبير فريد، فهو يصور النهار متلبساً بالليل ثم ينزع الله النهار من الليل فإذا هم مظلمون، ولعلنا ندرك شيئاً من سر هذا التعبير الفريد حين نتصور الأمر على حقيقته، فالأرض الكروية في دورانها حول نفسها في مواجهة الشمس تمر كل نقطة منها بالشمس، فإذا هذه النقطة نهار : حتى إذا أدارت الأرض وانزوت تلك النقطة على الشمس انسلخ منها النهار ولفها الظلام، وهكذا تتوالى هذه الظاهرة على كل نقطة بانتظام وكأنما نور النهار ينزع أو يسليخ فيحل محله الظلام، فهو تعبير مصور لهذه الحقيقة الكونية أدق تصوير^(٢).

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أى أن الشمس تدور حول نفسها وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها ولكن عرف أخيراً أنها ليست مستقرة في مكانها، إنما هي تجرى، تجرى فعلاً، تجرى في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل

(١) تفسير القرطبي ٣٣/١٥ .

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب، دار إحياء التراث العربى، بيروت - الطبعة الخامسة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧، الجزء الثالث والعشرين، صفحة ٢٤.

بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً في الثانية، والله ربها الخبير بها وبجريها وبمصيرها. يقول إنها (تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) هذا المستقر الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلا هو ﷻ، ولا يعلم مواعده سواه، وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه، وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجرى في الفضاء، لا يسندها شيء، ندرك طرفاً من صفحة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة وعلم (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)^(١).

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ يذهب سيد قطب، كما ذهب القرطبي من قبل إلى أن للقمر منازل متعددة يراها العباد، فهو يولد هلالاً ثم ينمو ليلة بعد ليلة حتى يستدير بداراً، ثم يأخذ به التناقص حتى يعود هلالاً مقوساً كالعرجون القديم، والذي يلاحظ القمر بعد ليلة يدرك ظل التعبير القرآني العجيب (حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)، وبخاصة ذلك اللفظ (القديم)، فالقمر في ليااليه الأولى هلال، وفي ليااليه الأخيرة هلال، ولكنه في الأولى يبدو وكأن فيه نضارة وفتوة، وفي الأخيرة يطلع وكأنما يغشاه سهوم ووجوم، ويكسوه شحوب وذبول، إنه ذبول العرجون القديم، فليس مصادفة أن يعبر القرآن الكريم عنه هذا التعبير الموحى العجيب، والحياة مع القمر ليلة بعد ليلة تنير في الحس مشاعر وخواطر^(٢).

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ في هذه الآية الكريمة يقرر القرآن الكريم مدى دقة النظام الكوني الذي يحكم هذه الأجرام الهائلة، ويرتب الظواهر الناشئة عن نظامها الموحد الدقيق، فكل نجم أو كوكب فلك أو

(١) في ظلال القرآن ٢٣ / ٢٥، ٢٥.

(٢) في ظلال القرآن ٢٣ / ٢٥.

مدار لا يتجاوزه فى جريانه أو دورانه . والمسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة . فالمسافة بين أرضنا هذه وبين الشمس تقدر بنحو ثلاثة وتسعون مليوناً من الأميال، والقمر يبعد عن الأرض بنحو أربعين ومائتى مليون من الأميال، وهذه المسافات على بعدها ليست شيئاً يذكر حين تقاس إلى بعد ما بين مجموعتنا الشمسية واقرب نجم من نجوم السماء الأخرى إلينا، وهو يقدر بنحو أربع سنوات ضوئية وسرعة الضوء تقدر بستة وثمانين ومائة ألف من الأميال فى الثانية الواحدة (أى أن أقرب نجم إلينا يبعد عنا بنحو مائة وأربعة ملايين ميل) .

وقد قدر خالق هذا الكون الهائل أن تقوم هذه المسافات الهائلة بين مدارات النجوم والكواكب، ووضع تصميم الكون على هذا النحو ليحفظه بمعرفته من التصادم والتصدع حتى يأتي الأجل المعلوم . فالشمس لا ينبغي لها أن تترك القمر، والليل لا يسبق النهار، ولا يزاحمه فى طريقه، لأنه الدورة التى تجئ بالليل والنهار لا تختل أبداً، فلا يسبق أحدهما الآخر أو يزاحمه فى الجريان^(٢)

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ إن حركة هذه الأجرام فى الفضاء الهائل أشبه بحركة السفينة فى الخضم افسيح، فهى مع ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقطاً سابحة فى ذلك الفضاء المرهوب، وفى الواقع أن الإنسان ليتضاءل ويتضاءل، وهو ينظر إلى هذه الملايين التى لا تحصى من النجوم الدوارة، والكواكب السيارة، متناثرة فى ذلك الفضاء سابحة فى ذلك الخضم، والفضاء من حولها فسيح فسيح، وأحجامها الضخمة تائهة فى ذلك الفضاء الفسيح^(٣) .

(١) فى ظلال القرآن ٢٣ / ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) فى ظلال القرآن ٢٣ / ٢٦ .

ويتضح بعد الدراسة والتحليل لهاتين الرؤيتين، التراثية والمعاصرة، أن كلا منهما قد حاول الاعتماد الأساسي على المنظور العصري لعلم الفلك، إبان حياة المفسر

فالإمام القرطبي اعتمد بشكل واضح، على معطيات علماء الفلك المسلمين، وفي هذا ما لعله يشي لنا بان الرجل كان مطلعاً على علوم عصره، وكذلك فعل سيد قطب، حيث جاءت معطيات القرن العشرين في مضمار علم الفلك وفروعه بادية ضمن سياق تفسيره للنص القرآني العظيم .

وبالإضافة إلى هاتين الآيتين المعجزتين اللتين ورد بهما كلمة (فلك) صراحة، فقد جاء ضمن السياق القرآني الشريف، آيات هامة تشير إلى عالم الفلك، وقضاياها المتباينة، وهي تؤكد على أصالة هذا الكتاب الكريم، الذي أمر الله الإنسان من خلال آياته المعجزة، أن يتأمل هذا الكون الفسيح الأرجاء، وينظر فيه ويفكر، ويستخلص النتائج من النظر . وقد سبق أن أشرت إلى أن معظم الآيات القرآنية نجد فيها دعوة صريحة للتأمل والتفكير من أولى الأبواب، وهذا الكون من حولنا علينا أن نتدبر حكمة خالقه . فالإنسان من هذه الزاوية يمكنه أن يأخذ العبرة والعظة من عظيم خلق الله^(١)

(١) التراث والحضارة الإسلامية، د/ ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (بدون تاريخ)، صفحة ٧٣، ٧٤ .

obeikandi.com

المبحث الثاني

وينقسم إلى:

المطلب الأول : جعلنا سراجاً وهاجا .

المطلب الثاني: السماء ذات الرجع

obeikandi.com

المطلب الأول

" وجعلنا سراجاً وهاجاً "

قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾^(١)، بمعنى الشمس سراج النهار .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾^(٢)، بمعنى أن الشمس تضيئ العالم نهاراً والقمر ينيره بالليل .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾^(٣)، معانيها واضحة من معاني ألفاظها .

وقال الله تعالى : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾^(٤) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا^(٥)

وجاء في تفسير الفخر الرازي : " السراج هو الشمس .. وقرئت بالجمع (سراجاً)، والمقصود الشمس والمجموعة الشمسية (الكواكب الكبار) والشمس حسب (نظرية السديم) التي ظهرت على يد (كنت) في القرن ١٨ هي أم الكواكب وقد أيدها (لابلاس) عام ١٧٩٦، حيث انفصل من الشمس الأولى الكواكب الأخرى ومنها الأرض، ولعل هذا يتفق مع الآية ﴿ ءَأَنْتُمْ أَشْدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾^(٦) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا^(٧) وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا^(٨) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا^(٩) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا^(١٠) وَالْجِبَالَ أَرْسَلْنَاهَا^(١١) .

فالشمس وللتى كانت دخاناً واحداً، أى ركناً فى سديم حلزوني واحد ثم

(١) سورة الفرقان، آية رقم (٦١) .

(٢) سورة يونس، آية رقم (٥) .

(٣) سورة نوح، آية رقم (١٦) .

(٤) سورة النبأ، آية رقم (١٢ ، ١٣) .

(٥) سورة النازعات، آية رقم (٢٧ - ٣٢) .

تراكمت وتكثفت وبردت لتعلن عن ميلاد كوكب جديد هو الأرض بمعنى أن الأرض قد انفثقت عن الشمس، ويؤيد هذا قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (١) .

ومعنى ذلك أن الأرض عندما بردت تحولت من الغاز إلى السائل بعد انفصالها من الدخان، وقد كانت وهى فى حالة السيولة تدور حول نفسها .. وحول الشمس فأصبحت ببيضاوية أو كمثرية الشكل .

وواضح أن تلك الأجرام السماوية وهى ملتبهة - عند انفصالها - لا تشعر بليل أو نهار ورغم أنها تدور حول محورها أما الشمس فهى نفسها مضئنة، ولكن إذا بردت تباعاً أصبحت ملائمة لاستقبال الحياة، فالترتيب الوارد فى الآيات الكريمة له دلالة وله معانيه السامية وفيه الإعجاز العلمي لفظاً ومعنى وتنسيقاً.

ولقد لفتت الشمس منذ القدم أنظار الناس حتى عبدها بعضهم وجاء الإسلام واستنكر ذلك ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ (٢) . ولا يزال المجوس للأسف فى الهند وغيرها حتى اليوم يعبدونها .

أما العلم الحديث : فيكشف لنا عن ماهية الشمس الكثير والكثير فهى كرة هائلة من الغازات المتوهجة يتألف معظمها من الهيدروجين والمنطقة الملتبهة منها بالجزء الأسفل حيث ترتفع حرارتها بسبب وجود مجالات مغناطيسية تنتج جسيمات سريعة الحركة تصطدم بمادة جو الشمس العادية فتحيل هذه المنطقة من الشمس إلى متوهجات شمسية .

أما قطر الشمس فيزيد عن مليون وثلاث كيلو متر .. ومحيطها مثل

(١) سورة فصلت، آية رقم (١١) .

(٢) سورة فصلت، آية رقم (٣٧) .

محيط الأرض ٣٢٥ مرة. أى إذا كانت الشمس مجوفة إذاً لأمكنها استيعاب (١,٣٠٠,٠٠٠) جسم .. كل جسم فى حجم الأرض داخلها .. وتدور حول نفسها كما تدور الأرض بسرعة ٦٠٠,٠٠٠ فى الساعة أى بمعدل ١٦٦٦ ميل فى الثانية الواحدة تقريباً.

وتكتمل دورة الشمس حول مجرتنا التى نتبعها فى نحو ألفى مليون سنة ضوئية وتدور بين النجوم كل ٢٢٥ سنة بسرعة قدرها ١٩,٣ كم فى كل ثانية . وتدور حولها الأرض وتنشأ عن ذلك الفصول الأربعة، حيث تتغير من فترة إلى أخرى فتسير الأرض فى كل برج منها مقدار شهر .

ويرجع سبب تغير الطقس والمناخ على سطح الأرض إلى محور دوران الأرض حول نفسها على مسار دورانها حول الشمس (دائرة البروج) بزاوية مقدارها ٢٣,٥ درجة، وهذا يجعل شدة الطاقة الساقطة على سطح الأرض تتغير من فصل إلى فصل .

قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢٨ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ٢٩ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٣٠ ﴾ (١).

حيث يتغير اتجاه الشمس على سطح الأرض من منطقة إلى أخرى، فنجد أنه فى فصل الخريف والربيع تكون الشمس متعامدة على خط الاستواء، وفى فصل الصيف تكون الشمس متعامدة على مدار السرطان وأخيراً فى فصل الشتاء تكون متعامدة على مدار الجدى .

وهذا من فضل الله لأنه لو كان محور الأرض عمودياً فقط على خط الاستواء وفى المناطق الأخرى يكون ميل الشمس ثابتاً طوال العام ويتساوى الليل مع النهار طولاً فى جميع أنحاء الأرض وتصبح شدة الطاقة الساقطة

(١) سورة يس، آية رقم (٢٨ - ٤٠) .

على جزء من الأرض خلال العام، وهذا لا يتلاءم مع طبيعة حياة الإنسان والحيوان، وهذا هو الصواب عما ذكره الدكتور/ خضر^(١) ما نصه: "بأن البروج هى منازل الكواكب فى السماء والتي ينشأ عنها الفصول الأربعة وما فيها من حرارة وبرودة .

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِى﴾^(٢)، والتسخير لغة التذليل لتكون مصدر الوفير من الطاقات كما ونوعاً . تبلغ حرارتها الداخلية حوالي ٢٠ مليون درجة مئوية، بينما حرارة سطحها نحو ٦٠٠٠ درجة وهذا السطح تندلع منه السنة اللهب إلى ارتفاع مليون متر ولعل هذا هو معنى ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾^(٣) .

ويقول تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، فالشمس غير مكورة الآن، ولكنها فى النهاية سوف تتكور حتى تصبح قزماً أبيض وتستقر حيث يذهب ضوء الشمس حينئذ وينطفئ، وهذا ما يحدث أثناء الانهيار الجزئى، إذ تتجمع مادة النجم على بعضها وتدور وهذا ما وجده شاندرا سيخار وآخرون، حيث يمكن أن تبقى على هذه الحال آلاف بل ملايين السنين^(٤) ومستقر الشمس كما فى الحديث " إن الشمس تسجد تحت العرش " .

ولقد أثبت العلم انتظام مواقع الأجرام السماوية فى حركتها المستمرة^(٥)، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾^(٦) ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٧) .

(١) د/ عبد العظيم عبد الرحمن خضر فى كتابه الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، ص ١٧٦ .

(٢) سورة الأعراف، آية رقم (٥٤)

(٣) سورة الواقعة، آية رقم (٧٢) .

(٤) خلق الكون، ص ٤٧ .

(٥) خاطبة النظام بين الكون والقرآن، ص ٢٦ .

(٦) سورة الرحمن، آية رقم (٥) .

(٧) سورة يس، آية رقم (٤٠) .

قال القرطبي : إنهما يجريان بحساب معلوم .. يجريان بحساب في منازل لا يعدونها، إلا أنه في النهاية ستنمدد الشمس فجأة وبسبب غير معروف حتى تصل إلى القمر ومن ثم الأرض .

يؤكد ذلك قوله ﷺ ﴿ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْفَرُّ ۖ ﴾ (١) .

هذه هي الشمس مصدر الإشعاع، ورد ذكرها في القرآن في كثير من الآيات (٣٢ آية) بال المعرفة، وقد ورد ذكرها مرة واحدة (شمس) حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾ (٢) .

(١) سورة القيامة، آية رقم (٧ - ١٠) .

(٢) سورة الإنسان، آية رقم (١٣) .

المطلب الثاني

السما ذات الرجع:

قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾^(١)

الرجع : رجع يرجع رجعا ورجوعا : انصرف.

وقيل : الرجع : محبس الماء .

والرجع : المطر لأنه يرجع مرة بعد مرة وفي التنزيل : ﴿ وَالسَّمَاءِ

ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾

ويقال : ذات النفع .

قال ثعلب : ترجع بالمطر

سنه بعد سنه .

وقال اللحياني : لأنها ترجع

بالغيث .

وقال الفراء : تبدئ بالمطر

ثم ترجع به كل عام .

وقال غيره : ذات الرجع :

ذات المطر، لأنه يجئ ويرجع

ويتكرر.

قال الرازي في تفسيره للآية : قال الزجاج: الرجع المطر لأنه يجئ

ويتكرر، وأعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح في أن الرجع ليس اسماً

موضوعاً للمطر بل سمي رجعا على سبيل المجاز ولحسن هذا المجاز وجوه :

أحدها : قال القفال : كأنه من ترجيع الصوت وهو إعادته ووصل الحروف به، فكذا المطر لكونه عائدا مرة بعد أخرى سمي رجعا .

ثانيها :- أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض .

ثالثها :- أنهم أرادوا التفاؤل فسموه رجعا ليرجع .

ورابعها :- أن المطر يرجع في كل عام، إذا عرفت هذا فسنقول للمفسرين أقوال :-

أحدها :- قال ابن عباس : "والسمااء ذات الرجع " أي ذات المطر يرجع المطر بعد مطر

وثانيها :- رجع السماء : إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الأزمان، ترجعه رجعا أي تعطيه مرة بعد مرة .

وثالثها :- قال ابن زيد : هو أنها ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبها، والقول الصواب هو الأول .

قال القرطبي : قوله تعالى : "والسمااء ذات الرجع" أي ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر، كذا قال عامة المفسرين .

obeikandi.com

المبحث الثالث

حركات الأرض

وتولد الليل والنهار

والفصول الأربعة

obeikandi.com

المبحث الثالث

حركات الأرض - وتولد الليل والنهار والفصول الأربعة

قال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾^(١)
وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^(٢) وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ
حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾^(٣) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ
سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٤) .



حركات الأرض ..
وتولد الليل والنهار ..
والفصول الأربعة

من الحقائق العلمية
الفلكية تتابع الليل والنهار
كل يوم .. وتتابع فصول
السنة : الصيف والخريف
والشتاء والربيع على مدار
العام يطول النهار أو

يقصر ويشد الحر أو البرد فما السبب في ذلك ؟

١- قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(١) .

٢- ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(٢) .

(١) سورة يس، الآيات (٣٧ - ٤٠) .

(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٩٠) .

(٣) سورة يونس، آية رقم (٦) .

٣- ويقول جل شأنه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ ﴾ (١) .

٤- ويقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَبْتَلُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ ﴾ (٢) .

٥- ويقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ ﴾ (٣)

٦- ويقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۚ ﴾ (٤)

ويقول المفسرون: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، وما فيها من العجائب، ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ بالمجئ والذهاب والزيادة والنقصان ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لذوى العقول المفكرة، فهذا مجال لهم أن يسألوا ويتساءلوا. ماذا ولماذا وكيف يحدث ذلك؟.

وإن تعاقب الليل والنهار وتعاقب النهار والليل إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا وفيما خلق الله فى السماوات والأرض من عجائب لدلالات وحجج وإعلام لقوم يتقون الله فيخافون ويخلصون العبادة له (٥) .

وجاء فى تفسير الرازى فى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ (٦) أى دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين .. وذلك من أقوى الدلائل على أنهما غير موجودتين لذاتهما بل لابد من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة . فلولاً الليل لما حصل السكون والراحة، ولولا النهار لما

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (٣٣ ، ٣٤) .

(٢) سورة الإسراء، آية رقم (١٢) .

(٣) سورة يونس، آية رقم (٦٧) .

(٤) سورة الفرقان، آية رقم (٤٧) .

(٥) القرآن ينبوع العلم، ص ٢٥ .

(٦) سورة الإسراء، آية رقم (١٢) .

حصل الكسب وطلب المعاش ﴿فَمَحَوْنَا﴾ الآية التى هى النيل والمحو إزالة الأمر والمقصود جعل الليل مظلماً .. وجعلنا الآية التى هى النهار سبباً للإبصار ومعينة عليه لتطلبوا الرزق من ربكم بالسعى والكسب ولتعلموا بها عدد السنين الشمسية وحساب الزمن من الأشهر والأيام فى كل سنة.

ويقول ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أى : كاللباس يقي الناس البرد ويستتر العورات عن النظر ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أى : للراحة ﴿الْبَهَارَ نُشُورًا﴾ أى : سبباً للانتشار والسعى فيطلب المعاش .

كما وردت آيات أخرى فى اختلاف حال الظلمة والضياء فى كل يوم على صورة القسم لحكمة مقصودة .

كما فى سورة المدثر : ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٢﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٤﴾﴾ (١) .

﴿كَلَّا﴾ للزجر والردع. ﴿وَالْقَمَرَ﴾ أى وأقسم بالقمر ذى الأوجه المختلفة لتعلموا عنها حساب الأيام والأشهر والسنين القمرية، ومواعيد العبادة فى الصوم والحج إلى بيت الله الحرام، وأقسم بالليل إذا ولى واختفى، وبالصبح وهو أول النهار من وقت ابيضاض واحمرار الأفق إلى شروق الشمس، إذا أشرق لونه وأسفر من الإسفار وهو كشف اللون . وجواب القسم إن سقر وهى الجحيم تنذر وتحذر بها البشر .

وفى سورة التكوير : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنُوسِ ﴿١﴾ أَلْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَسَ ﴿٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿٤﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٥﴾﴾ (٢) .

والخنس هى الكواكب الجوارى التى تختفى بضوء الشمس .

(١) سورة المدثر : آية رقم (٢٢ - ٢٥) .

(٢) سورة التكوير، الآيات أرقام (١٥ - ١٩) .

والمراد بالكنس . الجوارى الدرارى، إذ إنها كنس فى جريها إلى أبراجها ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴾^(١) أى أدبر واختفى، ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أى انبليج وامتد حتى صار نهاراً.

وفى سورة الانشقاق : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۖ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۖ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾^(٢) .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ لا زائدة ونافية والمعنى ﴿ أُقْسِمُ ﴾ . والشفق وهو الحمرة التى ترى بالأفق ثم ابيضاضه بعد غروب الشمس حتى يصير بدرأ ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾، أى حالة بعد حالة مطابقة لها فى الشدة .

وفى سورة الفجر : ﴿ وَالْفَجْرِ ۖ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۖ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۖ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرِ ۖ ﴾^(٣) .

يقسم الله بالفجر وهو أول الصباح لأنه يفجر الظلام بضياءه ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ قبل العشر الأوائل من ذى الحجة. ﴿ وَالشَّفْعِ ﴾، أى الزوج ﴿ وَالْوَتْرِ ﴾ الواحد الفرد .

وفى سورة الشمس : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۖ ﴾^(٤)

يقسم الله بالشمس وبضياءها وقت ارتفاعها .. وبالقمر إذا تبعها بضياءه بعد غروبها .. والنهار إذا كشف الظلمة وأظهر الأرض .. والليل عندما يغطي الأرض بظلامه الدامس البهيم فيستر العورات .

وفى سورة الضحى : ﴿ وَالضُّحَىٰ ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۖ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ۖ ﴾

(١) المفردات فى غريب القرآن للأصفهاني (عسس) من الأضداد أى أقبل، وأدبر، ص ٣٣٧ .

(٢) سورة الانشقاق، الآيات أرقام (١٦ - ١٩) .

(٣) سورة الفجر، الآيات أرقام (١ - ٥) .

(٤) سورة الشمس، الآيات أرقام (١ - ٤) .

وَمَا قَلَىٰ ﴿١﴾ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١﴾

﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ أى : وحق الضحى وهو وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لأن النهار يقوى فيه، فهو يقسم بضياء الشمس فى صدر النهار، والليل إذا سكن الناس فيه أو إذا غطى الأرض بظلامه وسترها .

وفى سورة الليل : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿١﴾ ﴾ .

والمعنى : يقسم الله ويقول : وحق الليل إذا غطى النهار وحق النهار إذا ظهر وتجلى وكشف الظلمة وأظهر الأرض (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) أى : والقادر الذى خلق الذكر والأنثى متكاملأ معاً كما يتكامل الليل مع النهار إن مساعيكم متنوعة .

(١) سورة الضحى، الآيات أرقام (١ - ٤) .

(٢) سورة الليل، الآيات أرقام (١ - ٤) .

تولد الليل والنهار .. والفصول الأربعة

أثبت العلم الحديث أن الأرض رغم سكونها الظاهري تدور حول نفسها كل ٢٤ ساعة أى فى حركة يومية مغزلية بسرعة (١٠٤٤ ميل / ساعة) فيتولد عن ذلك الليل والنهار وتعاقبهما .. لأن الشمس لا تضىء إلا النصف المقابل لها من الأرض فقط فيكون عند أهل هذا النصف نهراً . وعند أهل النصف الآخر ليلاً .

وبيان هذا أن الأرض بدورانها حول نفسها من المغرب إلى المشرق تجعل كل نقطة من نقاط سطحها تمر على التعاقب، أما الشمس والقمر أو أى كوكب فيتخيل لنا أن الكواكب هى التى تنتقل فى السماء فتشرق وتغرب مع أننا نحن الذين ننتقل بانتقال الأرض "

ومثال ذلك مثل الراكب بقطار السكة الحديد فيرى نفسه أنه جالس ثابت وأن القطار لا يتحرك وأن الأشجار هى التى تسير وتدور حول القطار مع أنها ثابتة . وأن القطار هو الذى يسير بركابه فوق الأرض .

وهكذا فنحن نرى الشمس أولاً جهة الشرق فى الصباح .. ثم نراها أمامنا فوقنا فى وقت الظهر ثم نشاهدها تغرب فى المساء .

ويقرر العلم الحديث أيضاً أن طول كل من الليل والنهار يختلف باستمرار على مدار السنة إلا عند خط الاستواء فإن الليل فيه مساو للنهار على الدوام .. حيث يطول الليل فى الشتاء ويقصر النهار .. والعكس صحيح فى الصيف فى بلادنا .. وهكذا نشعر بالفصول الأربعة ظاهرة واضحة لنا .

ويرجح العلماء حدوثها لفعل عوامل ثلاثة :

(١) دوران الأرض حول الشمس .

(٢) دوران الأرض حول نفسها .

(٣) ميل محور الأرض بزاوية مقدارها $23\frac{1}{2}^\circ$.. مما يؤدي إلى اختلاف طول اليوم واختلاف فصول السنة .. كما تختلف درجات الحرارة على سطح الأرض هي (٨٨٠ سلزيوس) في الشتاء، عند القطب وأعلاها (٤٨ سلزيوس) في الصيف عند خط الاستواء .

ولا شك أن هذا الاختلاف في التوقيت يرجع إلى دوران الأرض حول الشمس مرة كل عام بسرعة ٦٧٠٠٠ ميل / ساعة في حركة مدارية منتجة الفصول الأربعة وهي : الربيع والصيف والخريف والشتاء .

ويطلق عليها العلماء (الحركة الانتقالية) وهي عبارة عن دوران الأرض حول الشمس من المغرب إلى المشرق في ٣٦٥ يوماً، ٥ ساعات، ٤٨ دقيقة، ٥٠ ثانية أى ٣٦٥ يوماً وربع يوم تقريباً وهذه المدة المعبر عنها (بالسنة الشمسية) وتقطع الأرض في اليوم أثناء حركتها السنوية ما يزيد عن ٥٠ مليون من الفراسخ مما يجعل الليل يطول أو يقصر بحسب تعامد الشمس على المكان أو ميلها عنه فالأرض تدور حول محورها المائل على مداره بمقدار $23,5^\circ$ وانطلاقها مع الشمس في فلكها حول مركز مجرة سكة التبانة بسرعة ٤٩٧ ميل / ساعة . وجريانها مع الشمس في فضاء المجرة بسرعة ٤٣٠٠٠ ساعة بل وانطلاقها مع مجرتين في غطاء تمدد الكون .

ورغم هذه الحركات الخمس للأرض فإننا مستقرون فوقها لا تتناثر أشلائنا أثناء ذلك وما ذلك إلا بتسخيرها من قبل الله ﷻ لنا : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾^(١)، فهي كالدابة الذلول . ورغم ذلك فلا زال البعض ومنهم مفتى السعودية ابن باز ينكر دوران الأرض^(٢).

(١) سورة الملك، آية رقم (١٥) .

(٢) محمود بن عبد الله التوميجري / ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق للرد على محمد محمود الصواف (المسلمون وعلم الفلك) .

وعلى سبيل المثال يقدر طول النهار في الشتاء في القاهرة بحوالى ١٠ ساعات وفي الصيف ١٤ ساعة وفي كل من الخريف والربيع ١٢ ساعة تقريباً .

كما أن اختلاف مواعيد الصلاة وأيضاً الإفطار في شهر رمضان من يوم لآخر في المكان الواحد لدليل على إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل والرحلة السنوية للأرض حول الشمس مع ميل المحور الشمسية خلال البروج بسبب اختلاف في طول اليوم وطول النهار باختلاف الأقطار^(١)، فالشمس في كل لحظة في غروب وشروق وزوال وضحي ومعنى ذلك هو انتقال لفظ الجلالة الله أكبر في الأذان حول الكرة الأرضية وطوافه حولها بلا انقطاع طوال الأربع وعشرين ساعة وإلى يوم الساعة^(٢).

وعلى هذا فإن المشرقين يمثل أقصى بعد بين موضعى الأرض في فلكها حول الشمس كما في الآية ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ۖ ﴾^(٣)، كما أشار القرآن بالذات إلى منطقتين وصل إليهما ذو القرنين حيث أطلق على الأرض المظلمة ﴿ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾ إشارة إلى ليلها الطويل، والأخرى المضيئة ﴿ مَطْلَعَ الشَّمْسِ ﴾ إشارة إلى نهارها الطويل^(٤) .

كما في قوله تعالى على الترتيب ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ۖ ﴾^(٥)، أى بئراً مظلمة ذات طين مبلول إشارة إلى الليل الطويل .

(١) الله والعلم، مرجع سابق .

(٢) المنهج الإيمانى للدراسات الكونية في القرآن الكريم، ص ٢٧٥ .

(٣) سورة الزخرف، آية رقم (٣٨) .

(٤) في رحاب القرآن، ص ٦٤، عبد العزيز العلمي .

(٥) سورة الكهف، آية رقم (٨٦) .

وأما قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾^(١) فيشير للنهار الطويل على خلاف ما تعود عليه في بلاده .

ويحدد البعض موقع رحلة ذى القرنين أنها كانت في المغرب بجزيرة الأطلنيس في الجانب الغربى من الكرة الأرضية، حيث كان خروجه من مصر وقت الغروب، حيث أدرك الشمس وقت الظهيرة، ولقد وجدها مستمرة في غروبها فوق المحيط الأطلسي، وهذا يظهر أن الجزيرة المقصودة تقع بين خطى عرض ٤٠، ٦٠ غرب جرينتش وبين خطى عرض ٢٠، ٣٠ شمالي خط الاستواء بالقرب من مدار السرطان وإن لم تكن عليه^(٢).

وهذا دليل على كروية الأرض ودورانها التى جاء بها القرى، بأسلوب معجز علمياً وبيانياً يخاطب الجميع على قدر عقولهم وزمانهم فلم يشأ أن ينص على دوران الأرض مباشرة، لأن الإيمان بدوران الأرض أعصى من الإيمان بكرويتها، فالدوران حركة وقد تعود الناس الشعور بالحركة .. وعندما قيل لهم فى القرن السادس عشر أن الأرض تتحرك سارعوا إلى التكذيب وإعدام من قال بذلك أمثال (كوبرنيكس) (١٥٧١ - ١٦٣٠) الألمانى و (جاليليو) من جانب الكنيسة .

فالحركة المغزولية اليومية للأرض بدورانها حول نفسها تؤكد لها الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾^(٣) والتكوير هو لف شئ على آخر فى اتجاه مستدير كما فى اللغة كور العمامة

(١) سورة الكهف، آية رقم (٩٠) .

(٢) فى رحاب القرآن الكريم - مرجع سابق .

(٣) سورة الزمر، آية رقم (٥)

على رأسه وكورها بمعنى أن الله سبحانه يلف الليل على النهار ويلف النهار على الليل ويؤيد هذا المعنى تكرار فعل (يُكَوِّرُ) في الآية تكراراً بليغاً واستخدام المجاز المرسل لغوياً باستخدام لوازم الليل والنهار . وهي على الترتيب : الظلام والنور فالظلام ذلك الرداء الأسود جدير بأن يصور الله بها نفوس وحال الكافرين والمشركين والمنافقين ﴿الرَّكَعَ كُلَّ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١).

قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾^(٢) وتكرار الفعل ﴿يُولِجُ﴾ فيها والإيلاج لغوياً إدخال شئ في آخر يحيط به ويساويه كإيلاج الخيط في ثقب الإبرة أى يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل وما ذلك إلا بسبب دوران الأرض .

قال تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾^(٣) والإغشاء معناه التغطية ودوران الأرض مغزلياً حول محورها مما يؤدي إلى إغشاء أى تغطية الظلام لمكان النهار وتغطية النور لمكان الليل نتيجة الدوران المغزلي للأرض منذ تكوينها في البداية منذ ٤,٥ مليار سنة، حيث كان التعاقب ﴿حَيْثُ﴾ الذى اكتشف بالإشعاع الذرى أن النهار آنذاك كان ٤ ساعات فقط يقال الحث، الإعجال الذى ثبت أنه يتباطأ مع مرور الزمن بدليل حذف كلمة ﴿حَيْثُ﴾ الذى اكتشف بالإشعاع الذرى والساعات الذرية فى القرن العشرين لدرجة أن بعض العلماء يتوقعون حالياً توقف حركة الأرض عن الدوران المغزلي فى المستقبل ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾^(٤) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (١)

(٢) سورة لقمان، آية رقم (٢٩) وفى سورة الحديد، آية رقم (١٠٣) .

(٣) سورة الرعد، آية رقم (٣) .

فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١﴾

ويشير القرآن إلى هذه الظاهرة باحتمال سكون الظل واحتمال توقف تبادل الليل والنهار ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ (٢) واستدراكاً لهذا الوضع الشاذ ماذا لو وقفت الأرض عن دورانها فأصبح نصفها المواجه للشمس نهاراً دائماً والبعيد عنها ليلاً دائماً ؟ . أليس من رحمته قوله في ذلك ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣) .

وهذا الدوران العكسي بعد التوقف المذكور قرآنياً المتوقع علمياً سيؤدي إلى طلوع الشمس من مغربها تصديقاً للحديث الشريف " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها " وشرح لقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (٤) ليصبح للشمس مشرقان ومغربان .

وقال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٥)، تؤكد حركة الأرض اليومية والسنوية فالتقليب حركة تدل على إحلال أحدهما على الآخر بالسريان والأدبار كما في القسم الإلهي ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسِرُّهُ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ (٦)، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا أَدْبَرَ﴾ (٧)، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ﴾ (٨) .

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٩)، والسلخ أصلاً معناه فصل الجلد عن اللحم .

(١) سورة القصص، الآية أرقام (٧١ ، ٧٢) .

(٢) سورة الفرقان، آية رقم (٤٥)

(٣) سورة القصص، آية رقم (٧٣) .

(٤) سورة الرحمن، آية رقم (١٧) .

(٥) سورة النور، آية رقم (٤٤) .

(٦) سورة الفجر، آية رقم (٤ ، ٥) .

(٧) سورة المدثر، آية رقم (٣٣) .

(٨) سورة التكويد، آية رقم (١٧)

(٩) سورة يس، آية رقم (٣٧) .

والمعنى نسلخ من مكان الليل نور النهار لأن الليل (هو الأصل) والنهار طارئ موجود فى قشرة الغلاف الجوى اللامس لسطح الأرض. حيث تتوافر ذرات الهواء التى تحدث التشتت لضوء الشمس فيتجلى النهار ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾^(١)، ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَضْفَرَ ﴾^(٢)، وبهذا فإن الظلام بالنسبة للنور كجسد الشاة بالنسبة لجلدها كما فى قوله ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾^(٣) وتكون الحركة هى المشروط الذى يفصل الضوء من جسم الأرض الكروى.

وهذه عملية مقدرة، فلو انخفضت سرعة الأرض إلى ٢٠٠ ميل فى الساعة بدلاً من ١٠٠٠ ميل مثلاً لصار طول النهار ١٢٠ ساعة، أى تصبح الظلمة نحو عشرة أضعاف الظلمة الحالية، ولذلك كان من فضل الله أن يكون الليل والنهار فى تداخل مستمر ﴿ تُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ﴾^(٤) سبحانه إنك على كل شئ قدير.

يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾^(٥) فهو المقدر العليم لساعات الليل وساعات النهار العالم ونقصانها فلا حياة كلها ليل مظلم ولا هى نهار مضيء بل إن الله جلت قدرته سلخ النهار من الليل يشهد ذلك على عظمته وقدرته .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٦) .

والسبح فى اللغة معناه الانتقال السريع للجسم بحركة ذاتية فيه .

والليل والنهار لغوياً ظرفاً زمان ولا بد لهما من مكان لأنه لا زمان

(١) سورة الليل، آية رقم (٢)

(٢) سورة المدثر، آية رقم (٣٤)

(٣) سورة الشمس، آية رقم (٤)

(٤) سورة آل عمران، آية رقم (٢٧)

(٥) سورة المزمل، آية رقم (٢٠)

(٦) سورة يس، آية رقم (٤٠)

بدون مكان وإطلاق الظرف وإرادة المحل معروف لغوياً في بلاغة القرآن، فالمقصود هنا بالليل والنهار لفظ الأرض كمكان يتواجد عليه الليل والنهار.

وبهذا فإن للأرض فلك تسبح فيه ويؤكد ذلك المعنى لفظ (يسبحون) لجمع الشمس والقمر والأرض كأجرام سماوية ولم يأت بالمتنى للشمس والقمر فقط في لفعل (يسبحون) أى الكل يدور كما يدور المغزل في الفلكة .

كما قال ابن عباس الذى أدرك هذا المعنى فقال : إن الأرض أحد السابحين .

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ ﴾^(١) ما يؤكد دوران الأرض .

يقول الشيخ الشعراوى : كان بعض المفسرين يفسرون الآية بوقوع ذلك يوم القيامة وزوال الجبال وقتئذ ولكن كلمة (تحسبها)، أى تظنها لا تكون فى الآخرة التى تسمى دار اليقين ﴿ تُمْرُ لَتَرَوُنَّ عِثْرَ الْيَقِينِ ﴾^(٢) فيوم القيامة لن تكون هناك جبال ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾^(٣)، وفى سورة الواقعة ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٢﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾^(٤)، ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾^(٥) .

والظن يكون فى الدنيا يؤكد ذلك عبارة ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٦) وعبرة ﴿ خَيْرٌ ﴾ وهكذا فتبدو الجبال ثابتة أمامنا لأنها لا تغير

(١) سورة النمل، آية رثم (٨٨) .

(٢) سورة التكاثر، آية رقم (٧) .

(٣) سورة طه، آية رقم (١٠٥) .

(٤) سورة الواقعة، آية رقم (٦ ، ٥) .

(٥) سورة النبأ، آية رقم (٢٠) .

(٦) سورة النمل، آية رقم (٨٨) .

مكانها لكنها فى الحقيقة تتحرك، لأن الأرض تدور حول نفسها وحول غيرها والجبال جزء من الأرض فهى تدور تماماً كما تحرك الريح السحاب^١ ولكننا لا نحس بذلك لأسباب ثلاثة هى .

١- أنها تسير بسرعة فائقة عبر عنها القرآن (مر السحاب)،
فالسحاب متحرك راكب الرياح

٢- وهذه السرعة ثابتة لا تتغير .

٣- الجاذبية الأرضية وتعود الكائنات عليها .. ويفسر ذلك علمياً
بظاهرة القصور الذاتى جاء بها القرآن منذ ١٤ قرناً ولم يثبت إلا
بواسطة فوكو عام ١٨٥١م .

فالتطواف سنة الله فى الكون .. بدءاً من الذرة حيث يدور الإلكترون
حول نواتها والأرض تدور حول محورها يومياً وحول الشمس سنوياً.

وكذلك فالمسلم يطوف حول الكعبة مركز الجاذبية فى الأرض قائلاً
فى الحج والعمرة لبيك اللهم لبيك كما يطوف أى جرم بمجرد وقوعه فى
أسر جاذبية جرم آخر .

المبحث الرابع
الضوء والنور والظلام
ونيرات السماء
(النجوم - الكواكب)
وحال الضياء فيها

obeikandi.com

المبحث الرابع

الضوء والنور والظلام ونيرات السماء (النجوم - الكواكب) وحال

الضياء فيها

يقول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبُ اللَّهُ الْأَمْثِلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^(١) .

وجاء فى تفسير الجلالين : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ بالشمس



والقمر .. مثل صنعته
فى قلب المؤمن :
﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾ أى كوة
غير نافذة فى الجدار
وهذه الكوة موضوع
فيها مصباح وهذا
المصباح موضوع فى
زجاجة وهى القنديل
من الزجاج الصافى.

وفسر بعضهم ذلك بمعنى أمبوبة فيها فتيل موقد فى وسط قنديل ..
وهذه الزجاجاة أو القنديل تشبه الكوكب الدرى فى لمعان وسطوع ضوئها .
وفسر بعضها ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ بمعنى أنها توجد فى مكان وسط
لا تتعرض فيه لحر أو برد يضربها.

وفسرهما بعضهم بأن ضياء الشمس لا يقع عليها من جهة دون أخرى ولا ينقطع عنها وبذلك ينضج زيتها ويصفو فيضئ لشدة صفائه دون أن تمسسه نار وينبعث منها أنوار بعضها فوق بعض.

ونحن نرى : أن المقصود هنا فى الآية فعلاً سقوط ضوء على جسم يعكسه (مثل الزجاج) ويعطيه بريق الدر تماماً مثل الكوكب الذى يعكس إلينا أشعة الشمس .

وهناك أربع إشارات فيزيائية فى هذا المثل الذى ضربه الله للنور هى: المشكاة - المصباح - الزجاج - الشجرة المباركة وهناك من يرى أن طبيعة النور الفيزيائى فى هذه الآية ينطبق مع نور القمر وضياء الشمس وفى النهاية يأتي دور النور الروحي المعنوى كما جاء فى الحديث " نور الله سبعة آلاف طبقة من النور " .

وقوانين الفيزياء تؤكد : أن النور لا يرى إلا بنور أقوى منه .. وإذا كان النور الإلهى الذى تنتهى عنده الأنوار فكيف يرى مجرداً للعين ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ (١) .

(١) فالمشكاة : لغوياً : الفجوة أو الكوة المظلمة فى الجدار غير نافذة، وهى بلغة أهل الحبشة إشارة إلى ظلام الفضاء الكونى حيث يوجد الشمس، والقمر مصدران أساسيان للضوء . وقيل : المشكاة ما يكون على رأسها المصباح والأول أصح وأشهر .

(٢) أما المصباح : فهو الفتيل يصعد منه لهب النار وهو قنديل من زجاج يزهو منه .. وفيه الضوء وهو جسم شفاف والمصباح فى زجاجة يشير إلى أن هذا المصباح هو القمر . وقد أحضر رواد الفضاء منه عينات كثيرة، منها صخور نارية متبلرة وأخرى بلورات زجاجية مختلفة .

(٣) والشجرة المباركة : قد تكون هنا إشارة للشمس، حيث تنفجر منها جميع أنواع الطاقات في نظامنا الشمسى فهي مادة وطاقة .

ولعل التعبير القرآنى ﴿ أَتَنْتَعَرُ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ﴾^(١) قد يشير إلى الشجرة المباركة وهى الشمس .. فالشمس تشبه الزيتون فى كبد السماء لكنها لا شرقية ولا غربية .. ووقود الشمس المشار إليه هنا لزيت على سبيل الاستعارة لا يحترق مطلقاً فهو ينتج بالاندماج النووى وليس بالاحتراق .. فهو وقود لم تمسه نار .

يقول الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾^(٢)

قال ابن عباس : بياض النهار من سواد الليل وهو المصباح إذا انفلق .
وقال أمية بن الصلت : " الأبيض ضوء الصبح منفلق .. والخيط الأسود لون الليل مكموم "

وقد ثبت فى صحيح مسلم عن عدى بن حاتم أنه قال : يا رسول الله إنى أجعل تحت وسادتى عقالين عقالاً أبيض وآخر أسود أعرف بهما الليل من النهار فقال الرسول ﷺ " إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل والنهار ومن هذا الحديث يتبين لنا أن النهار هو من طلوع الفجر إلى الغروب وبه ترتبط وتتعلق الأحكام فى الصلاة والصوم كما جاء فيما قسم الله به .

وقال تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾^(٣) والليل فى القرآن وقت للدعة والهدوء والسكون والليل والظلام من المترادفات اللفظية فى القرآن يحل أحدهما مكان الآخر .

(١) سورة الواقعة : آية رقم (٧٢) .

(٢) سورة البقرة، آية رقم (١٨٧) .

(٣) سورة الفجر، آية رقم (١ ، ٢) .

فالظلام من عناصر الصور الفنية التى رسمها القرآن لأهل الكفر والضلال^(١)

قال تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾^(٢) .



حددت الآية
مساحة الصلوات
الأربع فى الزمن من
وقت الزوال إلى
ظلمة الليل
(الظهر - العصر -
المغرب - والعشاء)
وهنا يأتى دور
الشمس فى معرفة

(التوقيت) عن طريق حركة الشمس الظاهرية أى موقع الشمس من الأرض .. ونظراً لدوران الأرض حول محورها فإن الأماكن التى تقع على نفس خط الطول يكون توقيتها المحلى واحداً وينطلق صوت الأذان للصلاة فى جميع المآذن فى لحظة واحدة .

قال ابن الأثير : " غسق غسوقاً إذا أظلم "، أما الزمخشري فقال : " الغاسق هو الليل إذا أعتَم " وقيل : إن الغسق هو ظلمة أول الليل وقيل هى الفترة التى تضى فيها السماء بعد غروب الشمس .

(١) الليل والظلام فى القرآن، عبد الهادى الصافى - العدد ٣٧٣، الوعى الإسلامى، رمضان ١٤١٧هـ.

(٢) سورة الإسراء، آية رقم (٢٨) .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾^(١)، بمعنى أنه الجزء من الليل إذا غاب الشفق .

أما الشفق فهو الضوء الخافت الذى وشك على اللمعان قبل شروق الشمس وهما ظاهران يقف العلماء أمامهما كثيراً فهما من إعجاز القرآن .
وقد ورد لفظ النور وبعض مشتقاته فى آيات القرآن فى نحو خمسين آية فى اثنتين منها: بالمعنى الحسى لظاهرة النور وفى غالبها بالمعنى المعنوى للنور .

وانظر إلى دقة القرآن علمياً فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾^(٢)

وفى آيات أخرى سمي القرآن الشمس وضيائها الذاتى بالسراج الوهاج مما يلفت النظر فى أن هناك تفرقة توحى بوجود فرق بين طبيعة الشمس وطبيعة القمر .

فالقمر جسم معتم يعكس ما ينصب عليه من أشعة الشمس التى هى فى الأصل مصدر الضوء والحرارة .. ولهذا لم يذكر القرآن لفظ الضوء، غلا إذا كان صادراً من مصدر حرارة كما فى قوله : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٤) .

(١) سورة الفلق، آية رقم (٣) .

(٢) سورة يونس، آية رقم (٥) .

(٣) سورة النور، آية رقم (٣٥) .

(٤) سورة البقرة، آية رقم (١٧) .

وقال تعالى: ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾^(١) فنرى أنه تعالى قال عن الضوء الحسى فى ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ ﴾، أى كلما أضاءت بالنار وقال فى الآية الأخرى كلما أضاء البرق لهم، فالضوء يصحبه دائماً حرارة ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيِّئُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾، أى يقرب زيتها من درجة الإضاءة ولو لم تمسه نار لصفائه الشديد فالشمس ضياؤها سراج وهاج، لأنه متقد بلهب بهو ضياء ذاتى كما يحدث فى النار والبرق

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾^(٢) بمعنى الكواكب والمصابيح هى السراج ذات الفتيل .

وقال تعالى : ﴿ وَبَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۖ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾^(٣) والسراج يطلق عادة على تلك الفتيلة المشتعلة فى إناء مملوء من الزيت، وقد استبدل الزيت بالشمس واصطلح على اتخاذ الشمعة وحدة تقاس بها المصابيح الكهربائية باعتبار الشمعة وحدة ضوئية

والخلاصة فى ذلك : أن القرآن قد استعمل لفظ الضياء .. أو أحد مشتقاتها للضوء الحسى الذاتى .. واستعمل دائماً لفظ النور للضوء الحسى المكتسب والمنعكس من سطوح الأجسام المظلمة بذاتها .. وجعل تعالى (النور) هو الضد والمقابل للظلمات، لأن الضوء المنعكس من سطوح الأجسام المظلمة هو الذى بيده ظلماتها دون الضوء الذى لا يقع عليها ولا ينعكس منها ولو كان قريباً منها .

كما أطلق تعالى لفظ (الضياء) مجازاً على رسالته المنزلة منه على

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٠) .

(٢) سورة الملك، آية رقم (٥) .

(٣) سورة النبأ، آية رقم (١٢، ١٣) .

الرسول قبل تبليغها للناس .. على حين أطلق عليها لفظ (النور) مجازاً بعد تبليغها للناس وبذلك يظهر إعجاز القرآن في التمييز بين النور والضياء^(١)

ولقد كان القرآن أول من أشار إلى أن الضوء هي تلك الظاهرة التي تؤثر في أعصاب العين فتسبب إحساساً بالبصر، علماً بأن العرب عندما نزل عليهم القرآن لم يكونوا يفرقون بين الضياء والنور .. أو بين الكواكب والنجوم .

(١) حنفى أحمد - التفسير العلمى للآيات الكونية، ص ١٤٩ .

obeikandi.com

المبحث الخامس

النجوم

obeikandi.com

المبحث الخامس

النجوم

يقسم الله تعالى بالنجوم لعظم مواقعها وكسر من أسرارها ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ^(١) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ^(٢)، فهي برغم ظهورها للعين نقاطاً ضوئية لامعة في السماء إلا أنها شمس مثل شمسنا.

وتظهر هكذا لبعدها عنا بمسافات كبيرة، حيث أن أقرب نجم إلينا يبعد مسافة تزيد على ٤ سنوات ضوئية وهو نجم الشعرى اليمانية يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وهي نجمة أكبر من الشمس أكثر من خمسمائة مرة ونورها خمسون ضعفاً لنور الشمس وهي ميل في الدقيقة . كانت قبيلة (خزاعة) تعبدونها فأعلم الله أنه رب معبودهم هذا وقال في كتابه العزيز: ﴿ وَإِنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴾ ^(٣) .

وكلمة مواقع النجوم تبين المسافات بين هذه النجوم المختلفة، حيث تقاس بنظام التطور Parallax أى قياس ميل النجم على مستوى دوران الأرض حول الشمس.

وتوجد أدوات قياس كبيرو اخرى كالكيلو فرسخ (١٠٠٠) فرسخ والميجا فرسخ أى مليون فرسخ فمثلاً تبعد عنا مجموعة (قنطورس) بسبعمائة ألف سنة ضوئية .

وفى تفسير آية النجوم : قال ابن عباس المقصود من نجوم القرآن حيث نزل منجماً على مدار ٢٠ سنة ار أكثر فلكل قطعة منها نجم .

بينما يجمع المفسرون : على أنها هى النجوم السيارة، أما مواقعها فهي ساقطة ومغاربها ومواضعها من السماء كما قيل قبل انكدارها .

(١) سورة الواقعة، آية رقم (٧٥، ٧٦).

(٢) سورة النجم، آية رقم (٤٩)

والنجوم فى نظر العلم أجسام متوهجة تشع ضوءاً وحرارة .. تتميز بخمس خصائص هي: (السطوع واللون ودرجة الحرارة - والطيف - والحجم) . وعددها لا يقع تحت حصر أكبرها الشعري اليمانية وثلاث من بنات نعش تسمى: (مابا - والكترا - والسيون) يفقن .

ضوء الشمس نوراً وناراً الأولى بأربعمائة ضعف والثانية بأربعمائة وثمانين والثالثة بالف ضعف .

أما سهيل فهي أقوى من الشمس بألفي وخمسمائة مرة وكذلك نجوم المجرة الصغرى، أما السماك الراجح هو أسرع النجوم سيراً وأشدّها تألقاً وأكبرها حجماً وتقدر سرعته بثلاثمائة وسبعين ميلاً فى الثانية ونوره ثمانية آلاف ضعف نور الشمس وحجمه ضعف حجمها^(١) .

والشمس تتحرك بالنسبة للنجوم المحيطة بها بمعدل ١٢ ميلاً / ثانية متجهة نحو (المستقر) الذى يقع فى كوكبه الجائى حوالى ١٠ إلى الجنوب الغربى من النجم اللامع المسمى النسر الواقع مصداقاً لقوله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^(٢) .

ولقد انتهت نظريات العلماء إلى أن النجم يتكون من سحب وهذه بدورها مكونة من غاز الأيدروجين بنسبة كبيرة - تتجمع هذه الغازات بدورها وتتركز وتتألف ثم تنضغط وتدور على هيئة سحابة كثيفة حول محور ثابت بسرعة قد تصل إلى عشرة آلاف ميل فى الساعة الواحدة .

وبازدياد جاذبية مركز السحابة تزداد الكثافة شيئاً فشيئاً وبتواد من داخلها حرارة عالية داخل النجم الحديث فتزداد جاذبية أجزائه بالتدريج مع ازدياد سرعة دورانه وازدياد سمك انحنائه .

(١) الله والعلم الحديث - لنرغل، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) سورة يس، آية رقم (٢٨)

وقسم العلماء دورة حياة أى نجم إلى: ميلاد - شباب - شيخوخة . ثم موت وذلك طبقاً للنظرية التى ظهرت عام ١٩٢٠.

وهذه النظرية تؤكد أن كل نجم يصل حتماً إلى مرحلة الشيخوخة (العملاق الأحمر) التى عندها لا يمكن للنجم توليد الطاقة من الاندماج النووى فينطفئ نوره تبعاً لذلك تدريجياً حتى يموت، جاء بذلك القرآن ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ آنكَدَرَتِ ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾^(٢)، فهاتان الآيتان تؤكدان أن جميع النجوم حتى الشمس سوف تتوقف قبل يوم القيامة .

وقال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿ وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ ﴾^(٣) والطارق كل أت ليلاً غالباً وفجأة والمتحرك أيضاً (والثاقب).

قال الزمخشري : كوكب يتقب الظلمة وقيل: الشديد اللمعان، والمستقرات العظمى كذلك أو هو النجم المضى - الثريا .

كما يقول العلم : وهو النجم العاتى يمرق منطقاً لا يلوى على شئ .. وهو حين يسرى وسط السحب المنتشرة حوله يحفر فيها نفقاً كبيراً وفراغاً هائلاً أضعاف حجمه، ومن ثم يسمى (بالنجم الثاقب) .. وكلما قلت السرعة النسبية له اتسع قطر النفق الذى يحفره فى الفضاء لكبر قطره ومن ثم يسمى (بالنجم الثاقب).

قال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾^(٤)، أى والنجم إذا تقلص وسقط مكوناته بالجاذبية الأرضية لينصط إلى قزم أو نجم نيوترونى أو ثقب، وقد يكون المقصود بالنجم هو كوكب .

(١) سورة التكوثر، آية رقم (٢) .

(٢) سورة المرسلات، آية رقم (٨)

(٣) سورة الطارق، آية رقم (١-٣) .

(٤) سورة النجم، آية رقم

الزهرة يسمى أحيانا (نجمة القمر) وقيل الزهرة أو الثريا أو الشعرى وهو المقصود بالنجم الذى هوى .

ويقول العلم : إن النجم نوعان : براق، وفوق البراق والأخير يبدو أكثر إضاءة وأعظم التهاباً وأعنف دورانا وتدميراً، حتى أنه قيل أن أصل الأرض هو الشمس اصطدم بها نجم هائل فوق البراق قديماً وكانت الأرض إحدى القطع المتناثرة من أحشاء ذلك النجم فوق البراق وهى ما نسميها نظرية إيفون^(١) .

وبدلل على صحتها ارتفاع درجة حرارة باطن الأرض وما تخرجه من حمم بركانية .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَتْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾^(٣) ، وما يؤكد النجوم فى حياتنا ليلاً، فالإنسان كان ولا يزال يهتدى بالنجوم فى البر والبحر ليعرف مكانه وزمانه .

كما نشط العلماء ووضعوا جداول بحسابات دقيقة تبين مواقع النجوم المهمة لتكون مرشداً للمسافرين فى البر والبحر .. وفى رحلات الفضاء إلى الكواكب .

وقد ثبت أن النجوم الموجودة فى منطقة القطب تلف وتدور وترجع إلى مكانها فى كل ٢٤ ساعة تبعاً لدوران الأرض حول محورها أمام الشمس .

ومن عجائب الأمور حساب الوقت بالنجوم مسألة مهمة لمن يمارسها من البحارة ورجال القوافل الصحراوية ورجال البادية .

(١) الإعجاز للدكتور عبد العظيم خضر، العلمى، ص ١٤٠ وما بعدها .

(٢) سورة الأنعام، آية رقم (٩٧) .

(٣) سورة النحل، آية رقم (١٦) .

ومن الحقائق العلمية : أن النجوم التى تقع فى القطب ترسم أقواساً فى مساراتها لتكتمل الدائرة وتعود إلى مواطنها الأصلية والزمن الذى تستغرقه النجوم لإكمال الدائرة ٢٤ ساعة أربع دقائق .

ومن حيث معرفة المكان فإن الأرض إذا اكتملت دورتها، فإن النجوم تمر مختلفة فى الفصول المختلفة من السنة وكل مجموعة لها شكل معين فى السماء تسمى كوكبة .

وقد اتخذت مجموعات النجوم العديد من الأسماء منها : النسر الطائر وهذه تظهر فى الصيف والردف والنسر الواقع - وفى الخريف يظهر منها الفرس الأعظم - ونجوم الثريا - وفى الشتاء تظهر مجموعة كوكبة الجبار ومجموعة ذات الكرسي والدب الأكبر والدب الأصغر الذى يمكن استخدامه كساعة سماوية لأنها هى والدب الأكبر من النجوم التى لا تغرب .

ومن نجوم السماء المعروفة فى الشرق العربى : الشعرى الشامية فى رحلتها فى الصيف إلى الشام وبالشعرى اليمنية فى رحلتها فى الشتاء ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ لَّيْلَفِهِمْ رَحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(١).

من ذلك يتبين أهمية دور النجوم فى حياة البشر :

ومن هنا فقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى أربع آيات فى أربع سور:
فى سورة النحل الآية (١٦)، فى سورة النجم الآية (١)، وفى سورة الرحمن الآية (٦) والطارق الآية (٣) .

كما وردت بلفظ : (النجوم) فى تسع آيات . فى تسع سور هى : الأنعام (٩٧)، والأعراف (٥٤)، والنحل (١٢)، الحج (١٨)، وسورة الصافات (٨٨)، والطور (٤٩)، والواقعة (٧٥)، والمرسلات (٨)، والتكوير (٣) .

(١) سورة قريش، آية رقم (٢، ١) .

فالنجوم أعظم شأنًا من الكواكب ومواقعها ذات أهمية عظمى فى بناء السماوات وتماسكها بأربع قوى : قوتان مألوفتان هما : جاذبية القوى الهابطة والكهرومغناطيسية القوى الرافعة ثم القوتان النوويتان الأخريان واللذان يقتصر تأثيرهما داخل قلب الذرة وإحدهما شديدة والأخرى ضعيفة ^(١)، وهى جميعاً أعمدة غير مرئية ^(٢) .

والخلاصة : أن وصفه تعالى للنجم بالطارق، والثاقب فى آية واحدة يدل على أن النجوم نارية مضيئة بذاتها وخاصة العملاق منها وأيد ذلك بإشارات قوية بقوله : ﴿ لِيَهْتَدُوا بِهَا ﴾ ^(٣)، وقوله ﴿ وَيَالْجَبِّمُ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ^(٤) ما يؤكد أن ضياءها من ذاتها ووصفها بالطارق أى بالمتحرك ليلاً ونهاراً فى السماء وبأنها ترى ساكنة وأن بعدها سحيق عن الأرض مما يؤكد أن سكونها ظاهري فقط لذلك جاء القسم بمواقع النجوم ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ^(٥) إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٦٧﴾ فى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ^(٦)

(١) الكون ذلك المجهول - جلال عبد الفتاح، ص ١٢٣ .

(٢) الإسلام يتحدى / وحيد الدين خان، ص ١٩٨ .

(٣) سورة الأنعام، آية رقم (٩٧)

(٤) سورة النحل، آية رقم (١٦)

(٥) سورة الواقعة، آية رقم (٧٦ - ٧٨) .

المبحث السادس

السماء وزينة الكواكب

obeikandi.com

المبحث السادس

السماء وزينة الكواكب

ذكر القرآن الكواكب فى خمس آيات منها :

يقول تعالى: ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ ^(١) بمعنى : ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ ﴾ القريبة من الأرض ﴿ بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾، أى: بضوئها وخلقنا هذه الكواكب حفظاً للسموات من كل شيطان متمرد .

وبما أن الزينة ليست صفة أصيلة للأجسام ومحلها دائماً سطوح الأجسام ولا تتناول باطنها وبما أنه قال ﴿ بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ ولم يقل بالكواكب كما قال (وبالنجم) فيستدل من ذلك أن ضوء الكواكب الذى هو زينتها ليس من ذاتها وليس جزءاً منها بل عارض عليها، أى هو ضوء مكتسب ومعكوس منها .

هذه الآية إشارة قوية إلى أن الكواكب أجرام مظلمة تضيئ بضياء غيرها (النجوم)

وفى آية أخرى: ﴿ وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ ﴾ ^(٢) ويقول: ﴿ أَلَزَجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ ^(٣)، وهذا تأكيد للتشابه بين الضوءين المعكوسين بما يشير إلى وحدة طريقة حدوثهما وإن اختلف مكانهما.

حيث وصف ضوء الزجاجاة الساطع المعكوس منها والتشبيه بضوء

(١) سورة الصافات، آية رقم (٦ ، ٧) .

(٢) سورة الملك، آية رقم (٥)

(٣) سورة النور، آية رقم (٢٤) .

الكواكب الدرية بقوله بعد ذلك المتلئى ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ فبين أن سطوع الضوءين سببه أن كلا منهما أنوار بعضها فوق بعض، فأثبت بذلك أن ضوء الكواكب الدرية نور أى ضوء مكتسب ومعكوس عليها .

وقال تعالى: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ ﴾^(١) بين القرآن أن القمر ليس من نوع الكواكب فى نشأته فأشار بذلك مقررأ أن النيرات المظلمة بذاتها فى السماء نوعان : الأول هو الكواكب، والثانى : هو قمر الأرض وما يوجد مثله .

والقمر من تخصيص معنى النور كتلة مظلمة وضوءه مكتسب ومعكوس منه .

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾^(٢)، فقد كان قوم إبراهيم عليه السلام يعبدون الكواكب فأراد أن يرشدهم عن طريق النظر والاستدلال والمجاراة حتى أفل .



وقد أثبت العلم أن الكواكب السيارة أجرام سماوية غير متجهة ماعدا الشمس المتوجهة وهى تعكس ضوء الشمس الساقط عليها كما تعكس المرايا

الضوء ولكن بدرجات متفاوتة تتوقف على طبيعة سطحها وتراكيب أغلفتها الجوية فتبدو للناظرين مضيئة.. وهذا ما يخالف الاعتقاد الذى كان سائداً

(١) سورة يوسف، آية رقم (٤) .

(٢) سورة الأنعام، آية رقم (٧٦) .

إلى عهد قريب بان للكواكب إضاءة ذاتية فقد ثبت أنها لا تشع ضوءاً ولا حرارة من نفسها .

وقد سمي الإغريق هذه الكواكب باسم (بلانييت)^(١)، أى المتجولات تمييزاً لها عن (النجوم) التى تبدو ثابتة فى كبد السماء لفرط بعدها عنا . والكوكب جرم سماوى كروى تقريباً يدور حول الشمس فى فلك خاص بيضاوى الشكل وهناك مئات الكواكب ولكن أكبرها تسعة منها .

وهذه الكواكب هى على الترتيب بالبعد عن الشمس من الأقرب للأقصى: عطارد - الزهرة - الأرض - المريخ - المشترى - زحل - اورانوس - نيبتون - بلوتو . ثم الكويكبات : وهى مجموعة من عدة سيارات تقع بين المريخ والمشتري ويقدر عددها بحوالى ١٥٠٠ كويكب أو أكثر .. ويبلغ قطر أكبرها ٨٠٠ كم، بينما يصل قطر أصغرها إلى أقل من ١٠ كم ولا يزيد وزن هذه المجموعة برمتها على ٠,٠٠٢ من وأن الأرض ولذلك جاء قوله بالجمع (وكل فى فلك يسبحون)^(٢) .

وقد اكتشف كوكب عاشر عام ١٩٧٢م ثم آخر فى الفضاء الواقع بين المريخ وزحل وهكذا كان مجموع الكواكب « أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا » مصداقاً لرؤيا يوسف عليه السلام « وَالسَّيِّئَاتِ بِتَيْنَتِهَا بِأَيِّدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ »^(٣).

والآن يبلغ قطر المجموعة الشمسية خمس ساعات ضوئية وأصغر هذه الكواكب من المجموعة الشمسية هو عطارد والزهرة والأرض والمريخ وهى مؤلفة من مواد متشابهة .

وتعتبر الأرض وعطارد أكثر كثافة من المريخ والزهرة ثم تأتى

(١) كيف ترقب السماء / ترجمة جمال الفندى، ص ٧٥ .

(٢) سورة يس، آية رقم (٤٠) .

(٣) سورة الذاريات، آية رقم (٤٧) .

الكويكبات الرئيسية وبعدها الكواكب الكبرى الأربعة وهى المشترى وزحل وأورانوس ونبتون وهى مركبة من غازات وسوائل ولها أجواء كثيفة جداً كتلتها كبيرة جداً إلى حد جعلها تحتفظ بالكثير من هيدروجينها .

قال تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۖ ﴾^(١)، فالخنس هى التى تختفى بضوء الشمس وقيل : الخنس بمعنى بقر الوحش من خنس الأنف والكنس من سكنها فى كناسها الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه والمراد (بالجوارى الكنس) الدرارى الخمس وقيل : السبعة وقيل : التسعة إذ أنها تكنس فى جريها إلى أبراجها .

قال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ۖ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَحَرَتْ ۖ ﴾^(٢)، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ ﴾^(٣)، والانفطار والانشقاق بمعنى حدوث شقوق أو فرجات فى الشئ ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ ﴾^(٤)، ﴿ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ ﴾^(٥)، والانتثار هو الرمى بالشئ مع تفريقه .

والتكوير يشمل إلقاء الشئ ثم اجتماعه على نفسه والالتفاف على جهة الاستدارة .

وانطماس الشئ معناه إزالة أثره ومعالمه مع ذهاب ضيائه .. وكل هذا حادث يوم القيامة .

وبعد، لقد وضحت هذه الآيات اختلاف النجوم عن الكواكب فى التكوين والصفات إذ أن النجوم يوم القيامة تتكور وتتكدس وتتطمس وهذا (يرجح) أنها أجرام مضيئة بذاتها ملتبهة على حين أن الكواكب تنتثر فحسب، وهذا يرجح أنها أجرام مظلمة جامدة .

(١) سورة التكوير، آية رقم (١٥، ١٦)

(٢) سورة الانفطار، آية رقم (٢ ، ١) .

(٣) سورة الانشقاق، آية رقم (١) .

(٤) سورة التكوير، آية رقم (٢ ، ١)

(٥) سورة المرسلات، آية رقم (٨) .

المبحث السابع

(وجعل لكم سراويل تقيكم الحر)

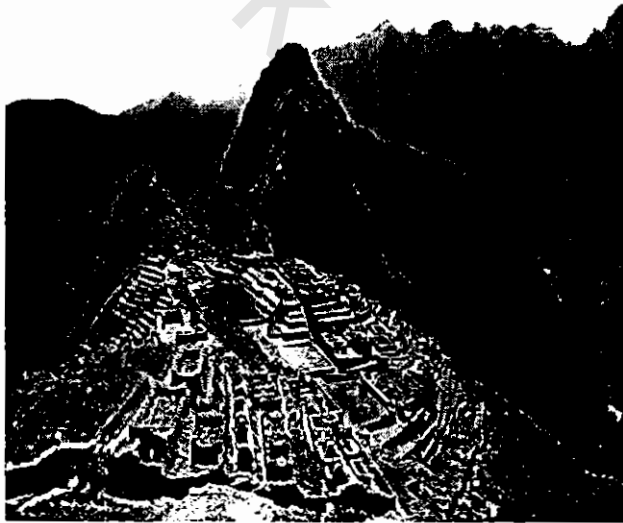
obeikandi.com

المطلب الأول

أقوال بعض المفسرين للآية الكريمة

أولاً : أقوال بعض المفسرين للآية :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمَمِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ (١).



قال ابن كثير فى

تفسير هذه الآية فى

قوله : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ

مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ﴾ قال

قتادة : يعنى الشجر

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ

أَكْنَانًا ﴾ أى حصونا

ومعاقل، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ

سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾

وهى الثياب من القطن

والكتان والصوف. ﴿ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾ كالدرع من الحديد

المصفح والزررد وغير ذلك، ﴿ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أى هكذا يجعل

لكم ما تستعينون به على أمركم وما تحتاجون إليه ليكون عوناً لكم على

طاعته وعبادته .

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ هكذا فسرهُ الجمهور، وقرأوه بكسر اللام من (تسلمون) أى من الإسلام^(١).

وقال صاحب الجلالين: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ ظِلَالًا ﴾ جمع ظل تقيكم حر الشمس^(٢).

وقال ابن جعفر العسقلاني: ﴿ سَرَبِيلَ ﴾ قميص ﴿ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾^(٣) وقال الشوكاني ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ ﴾ جمع سربال، وهى القمصان، والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها^(٤).

قال انزجاج : كل ما لبسته فهو سربال، ومعنى تَقِيكُمْ الْحَرَّ تدفع عنكم ضرر الحر^(٥) (وهذا التفسير الأبلغ لمعاني الآية)

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى - أبو جعفر محمد بن جرير، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، دار الفكر، بيروت.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار إحياء التراث العربى بيروت .

(٣) تفسير الجلالين .

(٤) فتح القدير - محمد بن على الشوكاني، دار الفكر ببيروت، ١٩٨٣هـ .

(٥) فتح القدير

المطلب الثاني

الملابس نعمة وفقدتها عقوبة:

وَلَا شَكَّ أَنْ مَنْ يَرْتَدِي الْمَلَابِسَ الَّتِي أَمَرْنَا بِارْتِدَائِهَا وَانْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَا بِنِيعَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ وَاتَّبَاعِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ فَإِنَّهُ - بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ - سَوْفَ يَنْجُو مِنْ حَرِّ النَّارِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ وَعَدْنَا رَبَّنَا وَوَعَدَهُ الْحَقُّ فَقَالَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٣)، أى من عمل بما أمره الله ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله فغن الله ﷻ يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم فى الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم ثم أثنى عليهم تعالى فقال: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٤).

يتضح لكل ذى عقل أن الملابس إنما هى من نعم الله علينا التى يجب أن نحسن استخدامها كما أمرنا ربنا ﷻ .

ومما يدل على ذلك أن الله قد عاقب آدم ﷺ وزوجته حواء بفقد هذه النعمة كما جاء فى قوله تعالى: ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا

(١) سورة النساء، آية رقم (١٣-١٤) .

(٢) سورة النساء، آية رقم (٦٩) .

(٣) تفسير ابن كثير : دار المعرفة، بيروت.

أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾ .

وقال مجاهد : جعل يخصفان عليهما من ورق الجنة، قال : كهيئة الثوب (٢) .

وقال الله تعالى أيضاً : ﴿ يَبْنَىٰ ۤءَادَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰبِهِمَا ۖ إِنَّهُ يَرَٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

يحذر تعالى بنى آدم من إبليس وقبيله، مبيناً لهم عداوته القديمة لأبى البشر آدم عليه السلام فى سعيه وفى إخراجهم من الجنة التى هى دار النعيم إلى دار التعب والعناء، والتسبب فى هتك عورته بعد ما كانت مستورة عنه، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة، وهذا كقوله تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (٤) .

وهناك بشرى حديثة للملتزمات بالحجاب الشرعى . قال البروفيسور كمال ملكر رئيس مركز الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بن فيصل آل سعود للأورام بالحرس الوطنى بجدة أن معدل حدوث سرطان البلعوم الأنفى فى الأطفال والمراهقين وكذلك البالغين يختلف حسب درجة نقشى المرض فى كل منطقة، واعتبر أن تغطية الإناث السعوديات للوجه ابتداء من سن البلوغ يساعد بإذن الله على حمايتهن من سرطان البلعوم الأنفى وقد شرح ذلك بالتفصيل فى مقاله .

(١) سورة الأعراف، آية رقم (٢٢ ، ٢٣)

(٢) تفسير ابن كثير : دار المعرفة، بيروت .

(٣) سورة الأعراف : الآية رقم (٢٧)

(٤) سورة الكهف : آية رقم (٥٠) .

المطلب الثالث

علماء المسلمين يتنبئون بحدوث السرطان :

ذكر بن القيم في الطب النبوي ما يلي: والنوم في الشمس يثير الداء الدفين، ونوم الإنسان بعضه في الشمس وبعضه في الظل ردي، وقد روى أبو داود في سننه من حديث أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : (إذا كان أحدكم في الشمس فقلص عنه الظل، فصار بعضه في الشمس وبعضه في الظل فليقم)^(١).

وروى عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : (لا تطيلوا الجلوس في الشمس فإنها تغير اللون، وتقيض الجلد، وتبلى الثوب وتبث الداء الدفين) رواه أبو داود عن أبي هريرة .

وقال ابن الجوزي : النوم في الشمس في الصيف يحرك الداء الدفين^(٢) .

وقال الإمام علة الرضا : (وليحذر الجلوس في الشمس)^(٣).

وقال الحارث بن كلدة وكان أطب العرب : الشمس تنقل الريح وتبلى الثوب وتخرج الداء الدفين . والداء الدفين إن لم يكن هو السرطان فما هو ؟ حيث أن الخلايا السرطانية دائمة التكون في أجسامنا ولكن يقضى عليها أول بأول من خلال خلايا جهاز المناعة الأكونة أو الليمفاوية القاتلة، فإذا دمرت هذه الخلايا بالأشعة فوق البنفسجية ترعرعت الخلايا السرطانية وتجمعت في صورة ورم سرطاني واضح للعيان بعدما كان دفيناً ومخفياً .

(١) رواه أبو داود

(٢) رواه أبو داود عن أبي هريرة.

(٣) الإمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي - محمد علي البار، صفحة ١٩٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م طبعة الدار السعودية.

وقد رجح الدكتور محمد على البار أن يكون الداء الدفين هو السرطان، فى تعليقة على رسالة الإمام على الرضا فى الطب النبوى . والله أعلم.

وتذكر الآية الكريمة حقيقتين : —

الأولى: هناك أخطار محدقة بالإنسان عند التعرض لحرارة الشمس .

الثانية : ضرورة ارتداء الملابس الساترة لكل الجسد والعبر عنها بالسراويل للوقاية من هذه الأخطار. وهذا ما أثبتته العلم يقينا.

وذكر الله تعالى الظلال والجبال والملابس والدروع وقال عنها أنها نعم تستحق شكرها، وقد خص الملابس بفائدة الوقاية من الحر فى زمن لم تعرف فيه هذه الأمراض التى تنتج عن التعرض لأشعة الشمس الحارة دون حائل؛ والتى تحوى الأشعة فوق البنفسجية غير المرئية والتى تسبب سرطانات الجلد المختلفة، والتى يمكن أن تنتشر بسرعة إلى جميع أعضاء الجسم الداخلية ؛ فتكون سببا فى هلاك الإنسان، خصوصا مع تدمير خلايا جهاز المناعة المنتشرة فى الجلد . ولم تكتشف مسببات هذه الأمراض الخطيرة ألا فى القرن الأخير فقط بعد تقدم وسائل الفحص والتشخيص.

وقد تبين أن الوقاية من هذه الأمراض هو خير علاج لها ؛ وذلك بارتداء الملابس الساترة للجسد لذا كان التعبير القرآنى فى قوله تعالى : وجعل لكم سراويل تقيكم الحر تعبير معجز حقا حيث ثبت أن الملابس تعكس وتشتت موجات الأشعة فوق البنفسجية الضارة فتقى الإنسان من الهلاك.

وبذلك يتبين لنا ولكل ذى لب أن القرآن الكريم حق وهو من عند الله العليم الخبير، وأنه يجب علينا أن ننهل من هذا المعين الذى لا ينضب ونبحث فيه عن كنوز العلم النافع، وأن نعلم أن كل ما شرعه الله لنا من فرض الحجاب الشرعى للمرأة، وارتداء الرجال اللباس الساتر، إنما هو

خير لنا في الدنيا لحفظ حياتنا من الأمراض المهلكة، وخير لنا في الآخرة
للنجاة من عذاب النار، كما قال تعالى ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا
يَفْقَهُونَ ﴾^(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سورة التوبة : آية رقم (٨١) -